المعالم الأثرية لمدينة هيت بين الأسطورة والواقع

د. لقاء شاكر الشريفي

جامعة بغداد/مركز إحياء التراث العلمي العربي

المقدمة :

تعد هيت من المدن المهمة في منطقة الانبار وتقع على بعد ١٨٠ كم غرب بغداد ولها دور كبير وبارز في تاريخ العراق ،فهي أقدم ثلاث مدن في العالم أريحا وحماة وهيت . وكانت من المدن المعروفة في العصر البابلي ،وذلك لاشتهارها بالقار الذي تشير أكثر المصادر إلى أن بناء أسس مدينة بابل كان من قير هيت .

ويزيد أهمية هيت مرور نهر الفرات فيها ، الذي أعطاها خصوصية أخرى من حيث الطبيعة وكثرة الزرع والبساتين وخصوبة التربة ،إذ تحيط البساتين مدينة من جميع الجهات ،وتسقى هذه البساتين بواسطة النواعير الخشبية المشهورة بكثرتها في هيت . فهيت البلدة التي تمسي وتصبح على حب النخيل وسنابل القمح كما وصفها فيلسوف هيت الأستاذ مدني صالح ،كما قالوا فيها :

لو فاركك كل هلك أنحر ديار بهيت

خوه وشهامة وكرم وبهيت خوش امبيت

الموقع الجغرافي

تقع هيت عند دائرة عرض من ٣٣ -٣٨ شمالا مع خط طول من ٤٢- ٥٣ شرقا وتبعد عن بغداد حوالي ١٨٠ كم وتبعد عن الرمادي حوالي ٧٠ كم . وتتمتع بمركز متميز على نهر الفرات وعند بداية السهل الرسوبي وعلى الطريق البري ،الذي يربط العراق بالحدود الاردنية من جهة وبالحدود السورية من جهة اخرى .

وساعدت عوامل البيئة (تربة –مناخ –ماء) في ان تصبح هيت منطقة زراعية تنتج المحاصيل الوفيرة والضرورية لأدامة الحياة لسكانها أضافة لما توفره من مواد تدخل في الصناعات الغذائية المختلفة كصناعة الدبس والراشي الذي أشتهرت به هيت والذي يوضحه بيت الشعر الاتي:

ياساكن الارض دانيها وقاصيها

هلاسمعت بهيت او معانيها

هيت ستعشقها حتما ولاسيما

ان ذقت من دبسها أو راشيها [١]

كما تشتهر هيت بصناعة الخل وصناعة الاخشاب التي تستعمل في صنع النواعير الخشبية التي تسقي المحاصيل الزراعية في هيت والماطق المجاورة [٢].

اما تربة المدينة،فقد ساهمت في أزدياد أهمية المدينة لما يتوفر فيها من معادن ومواد اولية ذات أهمية كبيرة كالأملاح والقير وأحجار الكلس ،التي تدخل في عمليات البناء،كل ذلك ساعد على قيام منطقة للصناعات الحرفية المختلفة ،وان هناك بالقرب من مدينة هيت توجد أثار مدينة تعرف بالمقلوبة ،والتي يعتقد البعض بأنها مركز لنحت الصخور وصناعة الالهة والمنحوتات الحجرية ألاخرى [٣].

وساهم موضع المدينة على الضفة اليمنى لنهرالفرات ،فأصبحت حلقة وصل بين شرق ألفرات وغربه من جهة ،ونقطة تبادل تجاري وتموين لسكان الهضبة ألرحل من منتجات المزارعين في السهل الرسوبي من جهة أخرى .كما أنها تمثل نقطة تحول من البيئة السهلية الى البيئة الهضبية ،وهذا الامر ساعد على قيام عمليات تبادل تجاري واسعة [٤]

وهيأ التنوع البيئي عملية التقاء حضاري وثقافي بين ناس من مختلف العوالم وبمختلف الصفات ألاجتماعية والاقتصادية والحضارية مع سكان هذه المدينة

<u>أصل تسمية هيت:</u>

كان سرجون الاكدي (٢٤٠٠)ق.م ، أول ملك اكدي وطأت رجله مد ينة هيت ،حيث ذهب هناك ضمن طقوس دينية كان يؤديها للأله (داكان) وهو اله الجبال والحيوانات في الديانة ألاكدية ،الذي كان يعبد في منطقة الفرات ألاوسط ،فأعطاه (داكان) المنطقة العليا التي تتضمن مناطق ماري ،أيار ،موني ،وأبلا حتى غابة ألارز (جبال أمانوس في لبنان) وجبال الفضة وهي جبال طوروس .

وجاءت تسمية هيت من كونها مدينة قديمة [٥] عرف أسمها في اللغة السومرية بصورة (دادي) ،أما أسمها هيت في فمن البابلية ،أذكانوا يسمون القار في لغتهم (أدو) ،وكانوا يسمون هذه البلدة بأسم أد (D) وأت (T) ،ومعناها في اللغة البابلية مدينة القار[٦] وجاء ذكرها ايضا في جغرافية بطليموس بأسم بلدة ادقار (Idikara) وهي على يمين نهر الفرات ،وهو أسم مركب من (أد) البابلية ،و(قارا) اللفظة النبطية العربية للقار وفي العربية عرفت هيت بأسم هيد أوهد ،وحرف الهاء هنا يشير الى أداة التعريف في اللغة العربية ،وهي كذلك في الغة العبرية ،وعليه فأسم هذه المدينة قد تطور من أد أو أت البابلية بمعنى القار الى (أهد قيرا) العبرية أو (هد) أو(هيد) النبطية ثم تحول فيما بعد الى هيت وهو ألاسم الحالي للبلدة ،وبهذا ألاسم عرفها معظم ألكتاب العرب ألاقدمون [٧]

أما هيرودوتس الذي عاش في القرن الخا مس قبل الميلاد ،فقد كتب وصفا دقيقا لمدينة بابل وذكر أسم هيت بصيغة (IS) أيس ويذكر أنها كانت مصدرا مهما للقير ذا النوعية الجيدة ،كماتحوي على كميات كبيرة من الكبريت ،ويذكر بعض المؤرخين ان القير الذي استعمله نبوخذ نصر في بناء أساس مدينة بابل كان قد جلب من مدينة هيت ،كما ذكر في الكتب السومرية أستعمال القير في تبليط ألشوارع وفي صناعة السفن وفي أدوات الشرب ،وذكرت هيت ايضا في المصادر اليونانية والرومانية بأسم (اسي) ويعني مدينة القار [٨] في حين أرجع البعض تسمية هيت الى مصدر الصحاح لسان العرب ،وسميت هيت بأسم بانيها وهو (هيت بن البلندي) وهيت بكسر الهاء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها تاء مثناه من فوقها [٩] ووصفها الجغرافيون بقولهم :هيت مدينة تكثر فيها بساتين النخيل والفاكهة وذات خيرات واسعة [١٠]

اما اللغويون فيذهبون الى القول بأن هيت أنما سميت كذلك لانها تقع في هوة من ألارض والاصل فيها هوت ،ثم صارت الواو ياء لسكونها وأنكسار ماقبلها ، وان تسميتها أختلفت عبر العصور[١١]وقال الاصمعي في وصف هيت :

طر بجناحيك فقد دهيتا

حران حران فهيتا هيتا

وذكرها أبن الاعرابي فقال سميت هيت لأنها تقع في هوة من الارض ،وانقلبت الواو الى الياء لكسرة الهاء [١٢]

بناء هيت : تعد مدينة هيت من المدن التاريخية القديمة في العراق والعالم . وهي أقدم مدن محافظة ألانبار ويذكر المؤلف رشاد الخطيب في كتابه (هيت في أطارها القديم والحديث)بناء مدينة هيت الى ماقبل الطوفان ،وفكرة ان نوح عليه السلام بنى سفينته وطلاها من قار هيت ،وأن مدينة بابل التاريخية وبرجها المعروف قد بنيا من قار هيت نفسه لمقاومته الظروف الطبيعية [١٣] ، ومازالت مدينة هيت تشتهر بعيون القير بشكل واسع ،اضافة الى العيون الكبريتية ،التي يقال انها تشفي الكثير من الامراض [١٤] وهذه المنطقة تعد المصدر الرئيس للحجارة في مناطق أعالي الفرات ،اذ كان يشكل المادة الاساسية في بناء بيوت هذه المنطقة([١٥]) .

وهيت مدينة صغيرة وبيوتها متداخلة مع بعضها وأزقتها ضيقة لاتتعدى مساحتها من (١-٢) متر ويسكن فيها مجموعة كبيرة من العوائل . وتجدر الاشارة الى ان هيت القديمة كانت تقع ضمن نطاق القلعة القديمة .ومع مرور الزمن تغيرت وتوسعت ،اذ بعد ان كانت المدينة عبارة عن حي او حيين اصبحت اربعة عشر حي مأهول بالسكان [١٦] وسكن الناس في شمالها الغربي بعد ان كان عبارة عن صحراء ،وأزاء هذا التوسع اصبحت هيت قضاء بعد ان كانت عبارة عن ناحية أوسنجق تابع الى لواء ومن أهم النواحي التابعة لمدينة هيت هي (البغدادي ،وكبيسة والدولاب ،والمحمدي ،وابو طيبان ،والفرات ،والزوية ،والبسطامية) وغيرها ،أضافة الى القرى مثل (الخوصة ،بنان ،تل اسود ،المعمورة ،البو نمر ،والعطاعط والبو سودة ،البو عساف ،البو حيان ،وحنفيش ،والمرج ،وزخيخة) وغيرها من القرى والجزر [١٧] .

التركيبة السكانية

يرجع اصول سكان مدينة هيت الى العرب من القحطانيين والعدنانيين اضافة الى الاكراد المتواجدين بشكل كبير ومنذو وقت ليس بالقريب وسكن هيت ايضا الى جانب المسلمين من اصحاب الديانات الاخرى مثل المسيح واليهود والذين التي لاتتجاوز اعداد بيوتهم ال (٦٠) وهم يعيشون بسلام وأمان مع المسلمين من اهل مدينة هيت . وكان اليهود بصورة خاصة يسكنون في هذه المدينة اكثر من اي مدينة اخرى وكانت غالبية بيوتهم تقع قرب ضفاف الانهار أضافة الى ان هنالك شوارع سميت في هيت بأسمهم مثل شارع اليهود قرب كورنيش هيت الحالي ودرب اليهود المعروف بالقرب من منطقة القلعة ،كما يوجد قرب مرقد الامام الخضر (عليه السلام) مقبرة واسعة لليهود .ممايشير الى وجود جالية كبيرة من اليهود سبق وان عاشت في المنطقة . وألقت أحداث فرهود بغداد عام ١٩٤١ بظلالها على يهود هيت ، اذ سافر بعض سكان مدينة هيت من اليهود وأسلم البعض الاخر وفضل البقاء في العراق وكان الحجي نجاح ساسون صالح الهيتي من الشخصيات التي اعلنت أسلامها عام ١٩٨٦ في منطقة هيت [١٨]

وهيت مدينة ليست عشائرية ، بل مجتمع حضري يسكن البيوت ويعمل بالحرف اليدوية مثل الزراعة وطلاء السفن وبناء النواعير وأصلاحها وأدامتها وصناعة زوارق الصيد والحرف اليدوية الاخرى [١٩] أضافة الى خزن التمور وتعبئتها وأنتاج الدبس والخل والراشي [٢٠]

أما سكان القرى في هيت فكانوا يزاولون حرفة رعي الماشية وألاغنام في اطراف المدينة وفي سوقها العام كما كانوا يربون ألابل والجاموس والبقر معا ، وهذه خاصية لاتوجد الا عند أهل سكان جزيرة الفراتية ، اذ يندر ان تجد من يرعى ألابل مع والجاموس والبقر . وبشكل عام تعتبر مهنة رعي الاغنام في اطراف مدينة هيت وضواحيها من المهن المتعارف عليها عند سكان هيت وذلك وفرة المياه وخصوبة الارض ووفرة المحاصيل الزراعية بكافة الفصول والمواسم [٢١]

الحركة الفكرية في هيت :

برز في هذه المدينة الكثير من رجال العلم والمعرفة من المشايخ والعلماء والشعراء ورجال الدين من مختلف مدارس الفقهية وكان لبعضهم مجالس عامرة يحضر لها الطلاب من داخل المدينة وخارجها مثل ابو الحسن (٣٠١هـ - ٣٥٤ هـ)

وهو علي بن محمد بن احمد بن اسحاق بن البهلول التنوخي وهو من اهل القراءات حيث قرأ عن ابي بكر أبن مقسم ، وقرأ على أبن مجاهد بعض القرأن وقرأ النحو واللغة والاخبار والأشعاروكان حافظا للقرأن ، وتقلد القضاء بهيت والانبار من قبل أبيه [٢٢] ثم من قبل الخليفة الراضي بالله سنة (٣٢٧ هـ) وتوفي سنة ٣٤٥ هـ [٢٣] كما برز ايضا في علم قراءة القرأن كل من ابو بكر الهيتي (٣٣٥ هـ) ومحمد بن عبدالله بن أبان الهيتي سنة (٤٠٦ هـ) وبرع في علم الحديث ايضا مجموعة من العلماء في مدينة هيت أمثال ابي عباية الهيتي من (٣٠١ هـ الى ٤١٦ هـ) ومحمد بن ابي العز الهيتي المتوفى سنة ٤١٠ هـ [٢٤]

وبرز في علم الفقه ابو جعفر وهو احمد بن اسحاق بن بهلول بن حسان بن سنان التنوخي الانباري ولد في الانبار سنة ٢٣١ هـ وكان جامعا لعلوم شتى [٢٥] واشتهر بالقضاء حيث تقلد قضاء مدينة الانبار وهيت من قبل الخليفة الموفق بالله سنة ٢٧٦هـ وتوفي في بغداد ٣١٨ هـ [٢٦]

وللشعر والشعراء مكانة ايضا في هيت لاسيما وان هذه المنطقة اصبحت امتداد لمقر الخلافة العباسية الجديد في عهد الخليفة ابو العباس السفاح فظهرفي هيت مجموعة من شعراء منهم ابو الحسن الهيتي الذي أشتهر بشعر المديح في عهد الخليفة المستضيئ بأمر الله الذي كتب قصيدة عن هيت هجى فيها اهلها وذمهم ، جاء فيها :

منازل هيت لايوافقها العدل

اذا عدل السلطان جار بها الاهل

وما هي الا بلدة جاهلية

أمرت على مر الزمان فما تحلو

تجمع أهلوها على الخلف والجفا

وبينهما أخذ الحرائب والقتل

قلبوهم من جندل وصفائح

خلقنا وما للعالمين شكل[٢٧]

وهذا شاعر اخر من هيت عرف بي (نصر الهيتي الدمشقي) وهو نصر بن الحسن الهيتي كان من الشعراء البارزين من شعره :

كيف يرجى معروف قوم من الوئم

غدو يدخلون في كل فن

لايرون العلا ولا المجد الابر

علق ومحبة ومغن

يتمنون ان تجل المساميرباسماعهم

ولا الصوت مني [٢٨]

ولقد سافر الهيتي الى مصر ، واستمر في كتابة الشعر عن هيت حسب عن مايروي عنه وحيش الاسدي اذ يقول وقعت بين يدي مسودات من الشعر الهيتي بخطة عند وصولي الى مصر مما قاله في الشام عن هيت فنقلت منها بعض الابيات من شعرة وهي :

ياطالب الصوري ان لم تتك

عن شعرك المنتحل البارد

حل بأكتافك في حلق

ماحل بالهيتي في أمد[٢٩]

وهذا يدل على ان الشعر الهيتي قد كان معروف في بلاد الشام ومصر وتوفي الهيتي سنة ٥٦٥ هـ [٣٠]

وذكرت هيت في كتب الادب والشعراء ،اذيقول فيها أبو عبدالله محمد السنبسي شاعر سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس المزيدي :

فمن لي بهيت وأبياتها

فأنظر مستقاها والقصورا

فيا حبذا تيك من بلدة

ومنيتها الروض غضا نظيرا

وبرد ثراها أذا قابلت

رياح السمايم فيها الهجيرا

واني وان كنت ذا نعمة

أجاور بالنيل بحرا غزيرا

أحن اليها على نأيها

وأصبر عن ذاك قلبا ذكوا

حنين نواعيرها في الدجى

أذا قابلت بالضجيج التكورا

بلاد نشأت بها ساحبا

ذيول الخلاعة طفلا غريرا [٣١]

المعالم ألاثرية القديمة في هيت :

اولا: القلعة . أومايعرف ب (قلعة هيت) وهي ثالث أقدم قلعة في العالم ويتفق المؤرخون على أن قلعة هيت هي واحدة من القلاع الثلاث في العراق مثلها مثل قلعتي أربيل وكركوك [٣٢] **وحول أصل بناء قلعة هيت دارت العديد من القصص والاساطير وسوف نستعرض أهمها :**

أن القلعة كانت عبارة عن تلة من ألارض قام الناس ببناء بيوتهم عليها وبشكل دائري حفاظا على أرواحهم وممتلكاتهم من فيضانات النهر المدمرة ، وهيت التي تنتصب على قمة تلة مرتفعة ،كانت في السابق منخفضا عند نهر الفرات ملاءته ركامات الاجيال الانشائية وقال أحد أبنائها فيها :

على الفرات بين الورد والشجر

قد شيدت هيت من جص وحجر

هم شيدوها على تل يحصنها

سور يقيها نبال القوس والوتر

.في حين ترجع قصة أخرى سبب بناء القلعة ،الى أنها تكونت نتيجة لتراكم أنقاض البيوت بعضها فوق البعض منذ قرون بعيدة بأعتبار أن سقوف تلك البيوت متكونة من طبقات من الطين بأرتفاعات متباينة ومطلية من ألاعلى بالقير المتوفر من خلال العيون المنتشرة في المدينة والسبب الرئيس لأندثار الغالبية العظمى من هذه البيوت هو الكثافة السكانية الكبيرة ولان الكثير من مساحتها صغيرة وتبدو وكأنها متداخلة مع بعضها وأزقتها ضيقة لاتتعدى من (١-٢) م وبالرغم من ذلك فقد سكنها مجموعة كبيرة من العوائل

ويقع ضمن القلعة المنارة التي يرجع تاريخ بنائها في الاغلب الى زمن سابور ذي الاكتاف ،وكانت تستخدم في السابق كبرج مراقبة ويقف عليها حارس ينظم حركة مرور القوارب التجارية ودخول الغرباء الى المدينة من جهة ويقوم بحراسة المدينة ضد اي اعتداء خارجي يهدد المدينة ،اذيقوم الحارس بأطلاق أشارات تنبه سكان المدينة [٣٣] وبعد عملية تحرير هيت عام ١٦ هجرية بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب ودخول الاسلام للمدينة تحولت منارة القلعة الى مأذنة ينادى فيها للصلاة وأطلق عليها منارة الفاروق [٣٤]

ويحيط بالقلعة سور ومن خلف السور يوجد خندق ليكون بمثابة حصن منيع وذلك لحماية أهل المدينة ويضم السور أربعة أبواب هي باب السنجة والباب الغربي والباب الشرقي وباب السور ،أما الباب الغربي فيتكون من بابين أحدهما أعلى أرتفاعا وعرضا من الاخر وفوق كل

واحد منها حارس لمنع الغزو ومراقبة السفن والمارة في النهر ، وتغلق هذه ألابواب جميعا مع وقت الغروب وتفتح مع صياح الديكة في الصباح [٣٥]

وتمتاز القلعة بشوارع ضيقة لاتكاد تكفي لعبور المارة والحيوانات ،كما توجد فيها بعض الطرقات التي تسمح بمرور العربات التي تجرها الخيول ،أذ كانت القلعة تفتقر الى الشوارع العريضة فغلب عليها طابع الخصوصية من حيث وجود الازقة الضيقة والمتعرجة ،اذ يندر وجود زقاق مستقيم فيها وتكثر فيها ألازقة غير النافذة والتي يمكن من خلالها السيطرة على محلات المدينة أثناء قيام الفتن والاضطرابات أو في حالة تسلل الغزاة الى داخل المدينة [٣٦]

وبنيت القلعة من حيث الازقة وطبقات المدينة بشكل أخذ فيه اعتبار للعوامل المناخية من جهة والرغبة في توفير نوع من الخصوصية للبيوت المشتركة من جهة أخرى . ويبدو ان السور الذي كان يحيط بالمدينة قد أثر بشكل أوأخر على أتجاهات ومقاييس ألشوارع والازقة والوحدات السكنية فيها مما أثر بدوره على أستغلال مساحة المدينة أستغلالا مكثفا عن طريق تقليص مساحات الشوارع والبيوت والتوسع العمودي مثل أنشاء بيوت ذات طبقتين أضافة الى أنشاء ألسراديب فيها بغرض الافادة منها في خزن المواد الغذائية ،أو القيلولة فيها أيام الصيف الحارة [٣٧] أما بالنسبة لسوق المدينة فهو يمتد على طول القلعة من الباب الشرقي الى الباب الغربي .وتميزت شوارع القلعة ايضا بوجود مايعرف ب (السقيفة) ، والتي كان الغرض منها أستغلال المساحة فوقها وحماية بعض الشوارع من العوامل الجوية وكانت طرق وأزقة المدينة وشوارعها مكسية بطبقة من القير ،الذي يتوفر في المدينة بكثرة ،ولكن هذه الطرق والازقة تفتقر الى المجاري المغطاة ،اما الاضاءة فقد كانت المدينة تنار بواسطة القناديل النفطية لاسيما وان النفط موجود بكثرة في المدينة [٣٨] اما توزيع المساكن في المدينة فقد كان متاثرا بما يوفره هذا الموقع او ذاك من مكانة اجتماعية لسكانه وغالبا ما كانت الدور الواقعة على ضفاف النهر في مركز المدينة هي المفضلة لسكن الاغنياء ولاسيما ابناء الطائفة اليهودية ،أذ يوجد العديد من الدور الخاصة بالعوائل اليهودية والتي يشير انشاءها المعماري الى انها تعود لعصور قديمة جدا ،وقد أزيلت بمرور الزمن واصبحت عبارة عن شارع [٣٩]

وتضم القلعة الكثير من أضرحة الائمة الصالحين مثل ضريح نبي الله أيوب (رض) ، و العديد من قبور الاولياء والتابعين مثل مرقد الشيخ عبدالله بن المبارك واحمد الغزالي والخضر

وعلي الهيتي والشيخ ابو يزيد البسطامي المدفون في قرية هيت وأويس القرني ،الذي أستشهد مع الامام علي في معركة صفين ،ومرقدالامام الخضر (عليه السلام) [٤٠]

ثانيا: خندق سابور

يكون خنق سابور الحد الفاصل بين مدينة النجف والكوفة وهو من الاثار القديمة ،اذ يرجع تاريخ حفره لأول مرة الى زمن الملك الساساني سابور ذي الاكتاف (٣٠٩-٣٩٧) م ،وهو سابور الثاني أبن هرمزد الثاني أبن فرس أمبراطور الفرس ،تولى العرش وهو طفل صغير وتولت أمه الوصاية عليه ،فطمع في حكمة الترك والرومان ،ولما أستلم سابور مقاليد الحكم بالغ في قتل العرب ونزع أكتاف رؤسائهم ،كما قام بحفر خندق في برية الكوفة بينه مبين العرب خوفا من شرهم ،وكانت هيت وعانة تابعة الى الانبار .

ولما استلم الملك انو شروان الحكم (٥٣١- ٥٧٩) بلغه ان طوائف من الاعراب يغيرون على مناطق السواد وحتى البادية [٤١] . وبناء على ذلك أمر بتجديد سور مدينة تعرف ب (القلعة) التي كان قد أمر ببنائها سابور ذي الاكتاف ،وجعلها مسلحة ، كما أمر الملك الجديد أنو شروان بأكمال حفر خندق سابور وجعلة يمر بمنطقة الكاظمة ممايلي البصرة ويصل الى البحر [٤٢]

وتغيرت أوضاع هذا النهر مع حروب تحرير العراق سنة ١٦ هجرية ،اذ طلب دهاقنة الانبار وتجارهم من القائد (سعد بن ابي وقاص) ،ان يحفر لهم نهر كان عظيم الفرس سابور ذي الاكتاف قد حفره ،فأوعز الاخير الى عامله سعد بن عمرو بن حذام أن يحفر لهم هذا النهر ،وفعلا قام سعد بن عمرو بحفر هذا النهر من موضع قرب الانبار مارا بأتجاه خندق سابور القديم ،فوصل الحفر الى غرب الرحالية وتعرف حاليا (الرمادي) ونسب النهر في ذلك الوقت الى من حفره وهو سعد بن عمرو وصار يعرف ب (كري سعد) [٤٣]

ويذكر الاستاذ أحمد نسيم سوسة معلومات عن نهر سعد فيقول أن النهر كان يسلك المنطقة الواقعة في الجهة الغربية من بحيرة الحبانية وهو طريق يمر بوادي أبي فروخ ثم ينحدر فيه الى الجنوب الشرقي بأتجاه غدير المالح ،ويسلك بعد ذلك أتجاه وادي الفضاوي ثم يترك هور ابي دبس الى جنوبه ،ويمتد حتى يصل حدود كربلاء من ناحية الغرب ومن هناك يمتد بمحاذاة نهر سورا من جهة الغرب حتى يقرب من مدينة الكوفة ،ثم يسير حتى هور البطايح

،وقد جرت تطورات على هذا النهر بغية أيصال الماء منه الى مدينة النجف وبذلك يلتقي نهر سعد مع خندق سابور في منطقة النجف ليكون بمثابة الحد الفاصل بين مدينة النجف الكوفة (٤٤)

ومع مرور الزمن وتسابق الاحداث تغير اسم نهر (سعد) وتحول الى (نهر سعدة) او (كري سعدة) ولهذه القصة جذور تأريخية وروايات عديدة تدور أغلبها حول أحد أمراء البصرة المقيم في قرية المشراق بمنطقة الابلة ،والذي عشق فتاة انبارية من مدينة هيت كانت تدعى سعدة بنت الشيخ أحمد ،وحسب ماتروي الحكايات أنها كانت ذات جمال أخذ وحسب ونسب ،وكان والدها الشيخ الاحمد يرفض كل من يتقدم لخطبتها . ومع ذلك تقدم الامير البصري لخطبة سعدة من والدها الذي رفض في مقابل شرط تعجيزي وضعه امام الامير البصري ،وفرض الشرط على الامير (أن يقوم بكري وادي نهر قديم يمتد من هيت بالانبار ويصل حتى البصرة ،ويبلغ طوله مئات الكيلو مترات ،وأن تزف سعدة بهذا النهر الى البصرة) .ووافق ألامير على الشرط رغم صعوبة المهمة وأمتثل لطلب أهل العروس التعجيزي ، أذ لم يتعود سكان أهل الفرات مصاهرة أهل الجنوب ،وذلك بسبب بعد المنطقة وصعوبة تبال الزيارات ونقل الاخبار (٤٥)

وأشار الباحث رشاد الخطيب الهيتي الى قصة مهر سعدة في كتابه (نهر مهر الهيتاوية)،اذ توجد فيه بعض التفاصيل عن قصة مهر سعدة وكري النهر القديم ،الذي عرف بالهجة المحلية ب (كري سعدة)أو (جري سعدة) (٤٦)

أما الشاعر والروائي (شاكر المشهداني) ،فقد قارن بين حب الامير البصري لسعدة بقصة الملك البابلي نبوخذ نصر فيقول مانصه :((مثلما خضع الملك نبوخذ نصر لشروط أهل أوميت ،حبيبته الجبلية المنشأ ،والتي أراد أن يتخذها زوجة له فبنى لها ألجنائن المعلقة حتى غدت واحدة من عجائب الدنيا السبع القديمة ،وذلك كي يرضي أهلها ولاتشعر بالغربة عن أرض ميديا دارها وموطنها)) وميديا موقعها الان في الجبال الممتدة بين أيران وشمال العراق في أقليم كردستان (٤٧) . كمايشير المشهداني الى ان الامير البصري قام بكري نهر مندثر وأجرى فيه الماء ،وأن مايعزز هذه المعلومة حسب قوله هوأن النهر يحمل التسمية الجديدة في كل من مناطق هيت وكربلاء والنجف والديوانية نزولا الى منطقة الابلة في البصرة (٤٨)

أما الحاج نجاح ساسون صالح ،فقد أشار لقصة نهر سعدة في كتابه ((شذرات من تاريخ هيت)) ،أذ أرجع نهر سعدة الى زمن الملك سابور الثاني ،وبأنه هو من أمر بحفر النهرمنهيت الى البصرة ،لكي يكون بمثابة خندق دفاعي ضد هجمات العرب على ملكه من جهة الصحراء . كما يذكر في كتابه بأن سعدة قد تم زفافها عبر هذا النهر ،وبذلك تكون القصة أكثر واقعية حسب رأيه (٤٩)

ثالثا :قصر سعدة في هيت

يقع قصر سعدة الاثري في قرية العطاعط على ضفاف نهر الفرات بقضاء هيت التابع لمحافظة الانبار وعلى بعد ١٨٠ كم عن بغداد . ويرجع بناء القصر الى زمن خلفاء العصر العباسي الثاني الذي يبدأ بخلافة المتوكل سنة (٢٣٢-٣٣٤) هجرية (٥٠)

وفي الوقت الذي تختلف فيه أراء المهتمين بالتراث والتاريخ حول قصة سعدة وقصرها في هيت ،الا أن الاراء تتفق على وجود دلائل تأريخية تؤكد وجود هذه القصة ،الاوهو القصر الاثري ،ذاالطراز العباسي الموجود في قرية العطاعط في هيت ،والذي مازالت أثاره شامخة لحد الان في منطقة هيت . والقصر الذي يقع في الصوب الثاني لقضاء هيت في منطقة الحسنية صوب الجزيرة في قرية العطاعط ،ماهو الاقصر أثري مهجور ذوبناء عمراني متميز ،ويتألف القصر من ثلاثة طوابق وسردابين وطابقين علويين وبني على مساحة كبيرة من الارض (٥١)

وأستخدم في بناء القصر الجص والطين والحجر العازل للماء والبرودة ، ويحوي القصر من الداخل نفوش أثرية وخطوط عربية قديمة تعود الى زمن الدولة العباسية الثانية ،ويقع القصر بشكل مباشر على نهر الفرات ،ليضيف له هذا الموقع جمالية أكثر .(٥٢)

وفي الحقيقة أن البناء الفخم لقصر سعدة وموقعه المتميز على نهر الفرات يدلل على أن سعدة لم تكن من عائلة بسيطة او عادية ،فوالدها الشيخ الاحمد ربما يكون أحد ولاة هيت في تلك الفترة ،او من تجارها الاغنياء

وتتفق أكثر الروايات التاريخية على أن قصة بناء قصر سعدة ،قد بدأت بعد ترك العروس أميرها البصري ،وعودتها الى مدينة النواعير في هيت ،أذ لم تستطع سعدة المكوث طويلا في البصرة ،وذلك لانها تربت على الخضرة وأصوات ألنواعير ،فأضناها الحنين وعادت الى ديار الاهل في

قريتها غرب هيت . ويوضح نجاح ساسون في كتابه عن تاريخ هيت بأن سعدة بعد رحيلها عن البصرة ،نذرت أن تهدي خلخالها الى صاحب أول ناعور ماء يصادفها في طريق عودتها الى هيت وقالت بذلك شعرا :

ماطاب لي في المشراق مصباحي ومبيتي

يطيب لي ناعور يسقي نخل هيت (٥٣)

ويذكر عضو المنتدى الادبي الشاعر صلاح محيسن ((أن العروسة سعدة لم تمكث في بيت الزوجية سوى شهرين ،اذلم تستطع العيش هناك ،فعادت وأهدت خلخالها الى صاحب أول ناعور صادفته في طريق العودة ،فخلعته وعلقته على الناعور عند تخوم الديار في منطقة قرية الدرستانية ،وبعد عودة سعدة الى ديارها بنى لها والدها الشيخ الاحمد قصرا على ضفة نهر الفرات وعرف القصر منذ ذلك الحين ب(قصر سعدة) (٥٤)

وسكن القصر ولفترات طويلة من قبل عشيرة العطاعط ثم بعد ذلك من قبل عشيرة الباني ،التي ظلت تسكن في القصر حتى عام ١٩٦٥ ،وأهمل القصر بعد ذلك لكثرة الفيضانات التي غمرته من نهر الفرات (٥٥).

نستنتج مماتقدم :

١. **أن هيت مدينة قديمة قامت على ارضها اقدم الحضارات ،فهي واحدة من المدن التاريخية الموغلة في القدم ابتداء من التاريخ القديم وحتى العصور العربية الاسلامية**
٢. **ان هيت معروفة منذ اقدم العصور التاريخية ،فقد ورد ذكرها في الكتابات السومرية والاكدية وباسماء مختلفة**
٣. **كان لهيت دور واضح في تطور حضارة العراق ،اذ اشتهرت هيت بوفرة القير والنفط ومنذ زمن بعيد ،فقد استعمله العراقيون في البناء والتبليط وفي صناعة السفن**
٤. **تمتلك هيت مقومات أقدم مستوطنةحضرية في العالم وكانت لها اهمية سوقية واقتصادية ودينية على مختلف العصور**

٥. تضم هيت العديد من المعالم الاثرية القديمة والتي تعاني من الاهمال الشديد مثل القلعة ومنارة الفاروق وقصرسعدة ،لابل ان البعض منها تعرض للتهديم والازالة مثل بيوت اليهود القديمة ،التي ازيلت وتحولت الى شارع

٦. تمتلك هيت كل مقومات السياحة الدينية وذلك لوجود العديد من مراقد الاولياء والتابعين

٧. توجد في هيت ثروة اقتصادية مثل القار والنفط والبريت والاحجار التي تستخدم في بناء البيوت الان هذه الثروة مازالت تفتقر الى الاستخدام الكامل

٨. تعرف هيت ببلاد النواعير وذلك لكثرة النواعير فيها الانها بدأت تتلاشى في ظل غياب هيئة الاثار والسياحة .

هوامش البحث:

١. عبد المنعم شاكر محمود : دليل محافظة الانبار ، بغداد ، ١٩٧١ ، صـ٢٤
٢. سلمان محمود قادر: جغرافية مدن العراق ، بغداد ، ١٩٨٨ ، صـ٥٥
٣. مشعل فيصل غضيب : التركيب الداخلي لمدينة هيت ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية – جامعة الانبار ، ٢٠٠١ ، صـ٤٠
٤. محمد طه الاعظمي : مدينة هيت في المصادر المسمارية ، ندوة هيت في التراث العربي ، بغداد ، ٢٠٠١ ، صـ١٠٨
٥. صلاح رشيد الصالحي : مدن محور الفرات التجارة والحرب في بلاد الرافدين ، مجلة جامعة الانبار للعلوم الانسانية ، العدد خاص ندوة تراث وتاريخ الانبار ، ١٦ مايس ٢٠١١ ، صـ١٤
٦. المصدر نفسة ، صـ٢٠
٧. محمد طه الاعظمي ، المصدر السابق ، صـ١٠٩
٨. عبد العزيز خضر عباس : الانبار في العصر العباسي دراسة في تنظيماتها الادارية وحياتها الاقتصادية والفكرية ١٣٢ – ٦٥٦ هـ ، رسالة ماجستير ، كلية التربية – ابن رشد ، بغداد ، ١٩٩٤ ، صـ٢٦
٩. رشاد الخطيب الهيتي : هيت في اطارها القديم والحديث ، ط ١ ، بغداد ،١٩٦٦ ، صـ٤٥
١٠. سعدي محمد صالح: هيت مستوطنة حضرية ، بغداد ٢٠٠١ ، صـ١٧٣

١١ . ياسين خليل جبارة العبيدي : كري سعدة في هيت ، ندوة هيت في التراث العربي بغداد ، ٢٠٠١ صـ١٤٦
١٢. رشاد الخطيب الهيتي ، مصدر السابق ، صـ٦٠
١٣. علي بن الحسين النجفي : تاريخ الانبار ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧١ صـ٣٥
١٤. منصور احمد علي : تاريخ هيت ، بغداد ،٢٠٠٦ ، صـ ٧٥
١٥. خالص حسني الاشعل وعبد الناصر صبري الراوي العمارة السكنية في اقليم اعالي الفرات بين الاصالة والتئصل ، مجلة جامعة الانبار للعلوم الانسانية ، عدد خاص ، ١٦ مايس ٢٠١١ ، صـ ١١٥
١٦. صبري فارس الهيتي : نواعير الفرات شواهد تاريخية على اصالة حضارية ، بحث ندوة النواعير جامعة بغداد ١٩٩٠ صـ ١٦
١٧. رشاد خطيب الهيتي ، المصدر السابق صـ ٣٢
١٨. السيد ماجد عبدالله الشمس : الارواء عند العرب ، عدد خاص ، ندوة مركز احياء التراث العلمي العربي ١٩٨٦ ، صـ ١٦٤ – ١٦٥
١٩. ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، الجزء السابع بغداد، ١٩٩٠ ، صـ٣٠
٢٠. الشيخ محمد الخضري بك المفتش بوزارة المعارف : محاضرات في تاريخ الامم الاسلامية (الدولة العباسية)، ط ١، مصر٢٠٠٤، صـ٤٢٨-٤٢٩
٢١. عبد العزيز خضر عباس : المصر السابق صـ١٤٦
٢٢. الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد او مدينة السلام منذ تاسيسها حتى سنة ٤٦٣ هـ ، الجزء الرابع ، بيروت ، د.ت، صـ٣٠ -٣١
٢٣. الانباري نزهة الالباء في طبقات الادباء ، تحقيق ابراهيم السامرائي ، بغداد ، ١٩٥٩ صـ١٧٢
٢٤. حسين علي محفوظ : السنبسي الهيتي شاعر بني مزيد في الحلة السيفية ٥١٥هـ ، ندوة هيت في التراث العربي المصدر السابق صـ٣٢-٣٣
٢٥. عبد العزيز خضر عباس : المصدر السابق صـ١٢٤
٢٦. المصدر نفسة : صـ١٢٦
٢٧. المصدر نفسة
٢٨. المصدر نفسة
٢٩. الاصبهاني : فريدة القصر وجريدة العصر ، تحقيق شكري فيصل ، ج١ ، دمشق ، ١٩٥٥ صـ٢٣٠
٣٠. المصدر نفسة صـ٢٣٢
٣١. المصدر نفسة
٣٢. عيسى سلمان والاخرون العمارات العربية الاسلامية في العراق ج١ ، بغداد ١٩٨٢ ، صـ١٨٠
٣٣. رشاد الخطيب الهيتي المصدر السابق صـ٣٥

٣٤. المصدر نفسه

٣٥. ابراهيم سلمان الهيتي : تاريخ مدينة هيت ندوة هيت في التراث العربي ، المصدر السابق ، صـ٧٥

٣٦ . نجاح ساسون صالح : شذرات من تاريخ هيت ، بغداد، ١٩٨٦ صـ٤٠

٣٧. المصدر نفسة

٣٨. رشاد الخطيب المصدر السابق صـ٧٠

٣٩. ندوة هيت في التراث العربي : المصدر السابق صـ٢١

٤٠. المصدر نفسة صـ٢٢

٤١. ابن سعد : الطبقات الكبرى ج٧، بيروت ، ١٩٦٨ ، صـ٣٧٢

٤٢. السيد حسين بن احمد البراقي : تاريخ الكوفة ، تحقيق ماجد احمد العطية ط١ ، المكتبة الحيدرية ٢٠٠٠، صـ١٨٦

٤٣. المصدر نفسة ، صـ١٨٧

٤٤. رشاد الخطيب الهيتي : المصدر السابق صـ٥٥

٤٥.احمد سوسة : تاريخ حضارة وادي الرافدين ج٢ صـ٢٢٥

٤٦.ياسين خليل جبارة العبيدي : كري سعدة في هيت ، ندوة هيت في التراث العربي ، المصدر السابق ، صـ١٤٧

٤٧.رؤوف عماد عبد السلام : هيت من اقدم العصور حتى الاحتلال البريطاني ، مجلة الحكمة ، العدد ٣٩ ، ٢٠٠٥ صـ١٥٠

٤٨. شاكر المشهداني : من حديث له في مجلة نيوزماتك ،٢٠٠٩

٤٩. المصدر نفسة

٥٠. نجاح ساسون صالح : المصدر السابق صـ٧٧

٥١.مصطفى احمد : جريدة الصباح العدد ٧٢٨ ، ٢٠٠٩

٥٢. المصدر نفسه.

٥٣. ياسين خليل جبارة العبيدي : المصدر السابق صـ١٤٦

٥٤.نجاح ساسون صالح المصدر السابق ، صـ٦٢

٥٥. المصدر نفسه.